

حكايات غيّر الدنيا

معمل الألوان

محسن محمد محسن



معمل الألوان

بالبَحْثِ والتَّنْقِيبِ فِي بَعْضِ المَخْطُوطَاتِ
القَدِيمَةِ ، عَثَرْنَا عَلَى هَذِهِ الحِكَايَةِ الطَّرِيفَةِ ، الَّتِي
يَحْكِيهَا جَدُّ شَيْخٍ لِأَحْفَادِهِ الصُّغَارِ .
وَنَحْنُ بِدَوْرِنَا نَقْصُصُهَا عَلَيْكُمْ كَمَا قَرَأْنَاهَا ، بِمَا فِيهَا
مِنْ سَجْعٍ وَأَوْزَانٍ ، كَمَا كَانَتِ العَادَةُ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ
الزَّمَانِ .

كَانَ يَامَا كَانَ ..

يَحْكِي لَنَا الشَّيْخُ الحَكِيمُ « جَرِيشَان » .. مِنْ
قَدِيمِ الزَّمَانِ .. فَيَقُولُ :

كَانَ يَامَا كَانَ .. كَانَ هُنَاكَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ ..
قَرْيَةً مِنْ قُرَانَا الجميلة اسمُهَا قَرْيَةُ « زَمَان » .. أَبْدَعَ
صُنْعَهَا الرَّحْمَنُ .. الزُّهُورُ فِيهَا أَشْكَالٌ وَأَلْوَانٌ ..
تَسْطَعُ الشَّمْسُ فِيهَا .. وَمَاءُ النَّهْرِ يُرْوِيهَا .. كَانَتْ فِي

الحقيقة نعمة من نعم الخالق ، أحسَّ بها أهل
البلاد .. فحمدوا عليها ربَّ العباد ..

وكان كلُّ الناس سُعداءَ بخيراتِ القرية الكثيرة ..
وميزاتها الكبيرة .. التي وهبها لهم الرحمن .. لا سيما
وأَنَّهُم كانوا من أذكى بنى الإنسان .. فى ذلك
الزَّمان .. يتمتَّعون بنور العلم وحلاوة الإيمان ..

وكان مُعظمُ أبناءِ القرية من النّابغين فى العلوم ..
ومن المُتقدِّمين فى البَحْثِ والدَّرس .. ولذلك تقدَّمت
قرية « زمان » ، على غيرها فى كافَّةِ العلوم والفنون .
ولكنَّ ما هو السَّبَبُ فى تقدُّمِ قرية زمان ؟ أنا أقولُ
لكم يا أولادى ..

كان سكَّانُ القرية ، قرية زمان « .. إلى جانبِ نورِ
العلم وحلاوة الإيمان .. يتمتَّعون بِسماحةِ
الأخلاق .. لذلك عاشوا فى وفاق .. ولم يعرف
أحدُهم يوماً معنى الكَذِبِ أو النِّفاق .. وكان الصَّغِيرُ



فيهم يطيع الكبير .. من الخفير إلى الأمير .
وكان في القرية ولدٌ صغيرٌ كسلانٌ كسلان ..
اسمه حمدان .. ينعسُ دائماً وينام .. ولا يسمعُ
الكلام .. ولا يُفيدُ فيه نصيحٌ أو ملام .
ضاق أبوه من فعّاله .. واشتكى لكل من قابله من
سوءِ أحواله .. وها هو المسكين .. يجلسُ على
شاطيء النهر وهو حزين .. يفكرُ في أفعالِ
حمدان .. الذي قضى عليه بالذلِّ والهوان .
وبعدَ قليلٍ مرَّ عليه الحكيمُ مُراد .. كأنَّما كان معه
على ميعاد .. وفي الحالِ حكى أبو حمدان ..
للحكيم عن أحوالِ ابنهِ الكسلان .. وعن مُحاولاتِهِ
المُثيرة .. ونصائِحِهِ الكثيرة . لإصلاحِ أخطاءِ ابنهِ
الخطيرة .. فهو كسلانٌ كسلان .. وعن كلِّ شيءٍ
في الدُّنيا غفلان .. أقولُ له اذهبْ إلى الدُّكان ..
فيذهبُ ليلعبَ في أيِّ مكان . أقولُ له احملِ الماءَ

واتبعني إلى البُستان، فينسى ما قلته الغافل الكسلان ..
اذهب يا حمدان وآتني بالأكل .. يرجع إليّ والبيضُ
مكسورٌ في يديه .. وباقي الأكل مسكوبٌ والترابُ
عليه . ألا ترى يا حكيمُ مراد .. ما فيه ابني من
فساد ؟ ومع ذلك لا يهتمُّ بجلوسى طولَ اليوم .. وأنا
حزينٌ مهمومٌ دونَ طعامٍ أو نَوْم .

ضحك الحكيمُ مراد ، وقال :

— يا أبا حمدان .. إنَّ ابنك الغفلان .. سيظلُّ
هكذا كسلان .. إن لم يتحمَّلِ المسؤوليات .. ويُفكِّر
في عواقبِ التصرفات .

كان الحكيمُ مرادُ من الحكماءِ المُخترعين ..
والأخصائيين المُحترفين ، فهو أمهرُ بنى الإنسان ..
في صناعةِ الأصباغ والألوان .. فضلاً عن صناعةِ
الكيماءِ والكيماويات .. وغيرها من الأحماض والقلويَّات .
لذلك قال الحكيمُ مرادُ :

— اسمع يا أبا حمدان .. فسألحق ولدك
الكسلان .. عندي بمعمل الألوان .. وسيكون أئى
إهمال .. محسوباً عليه بالتَّمام والكمال .. وأئى
تصرُّف تقوم به يداه .. دون أن تلحظه عيناه ..
سينقلبُ فى الحال .. عليه لا محال .

جزع أبو حمدان .. وخاف على ولده الغفلان ..
فضحك الحكيم وقال :

— لا تخف عليه فلن أؤذيه .. ولكنى فقط أريد أن
أربيّه .. وأعلّمهُ جزاء الإهمال .. فيما يقومُ به من
الأعمال ..

ودخل حمدان .. معمل الكيماويات والألوان ..
ونظر حوائيه فرأى قوارير الكيماويات والأصبغ .
المنتشرة فى كل مكان .. وسمع الحكيم مُراداً
يُناديه .. وعلى العمل يُوصيه ويوعّيه .

— اسمع يا ولدى يا حمدان ؟ .. هذا زمانٌ



يختلفُ عن سائرِ الأزمان .. فهنا لا كَسَلٌ ولا تَوَان ..
افتحْ عَيْنَيْكَ .. وانظرْ حَوَالَيْكَ .. وحاذرْ على يَدَيْكَ
ورِجْلَيْكَ .

ضحك حمدان .. ذلك الكسلان .. فصاح
الحكيمُ مراد :

— ناولني القارورة الحمراء .

تحركَ حمدان .. ونظر حوله وهو سرحان ..
ووضعَ يده في أيِّ مكان .. فأمسكَ بالقارورةِ
الخضراء .. بدلًا منَ القارورةِ الحمراء .. وما أن
اهتزَّت القارورةُ في يَدَيِ حمدان .. حتَّى سَمِعَ دويًّا
كدويِّ المدافع في المِيدان .. وتطلَّعَ حَوَالَيْهِ فأحسَّ
بُدُوارٍ وسقط على الأرض .. ولمسَتْ يداهُ السَّائِلَ
المسكوبَ فأحسَّ بنارٍ تكويه .. وبكلماتِ الحكيمِ
مُرَادٍ تُرْشِدُهُ وتَهْدِيهِ :

— اسمعْ يا حمدانُ الكلام .. وافهمْ ما أقولُ



بالتَّمام .. فعند ما أَطْلَبُ اللَّوْنَ الأحمر .. أحضر
الأحمرَ لا الأخضر .. وعندما أَطْلَبُ اللَّوْنَ الأصفر ..
أحضر الأصفرَ لا الأحمر .. وإن لم تُنْفِذْ ما أَطْلَبُهُ
وتَفْتَحْ عَيْنَيْكَ .. فَسْتُهْلِكُ نَفْسَكَ بِيَدَيْكَ .
ومررتِ الدَّقَائِقُ وحمدانُ لم يُفِقْ من آلامِهِ بعد ..
لكنَّ صوتَ الحكيمِ مُرادٍ ناداه .. فنظرَ إليه في غيرِ
انتباه .

قال الحكيم :

— والآن ناولنى القارورة الطويلة .. ذات الفتيلة ..
فتحرَّكَ حمدان .. مرَّةً أُخرى وهو سرحان .. وأحضرَ
القارورة القصيرة .. بدونِ فتيلة . وفجأةً صرَّخَ وألقاها
من يَدَيْهِ .. فسقطتْ فوقَ قَدَمَيْهِ .. وأحسَّ بالألم يزيْدُ
عليه .. فنظرَ إلى وجهه ويَدَيْهِ ورجليه .. وقد
اصطبغتْ بالألوان .. واحترقتْ فى كُلِّ مكان ..
ضحكَ الحكيمُ مراد ، وقال :



محمّد طه

— هذا جزاء من يغفل وينام .. ولا يفكر في معنى
الكلام .. اسمع أيُّها الكسلان .. لا شكَّ أنَّكَ تُريدُ
أنْ تُزيلَ آثارَ الحُروقِ والألوان .. أطعني إذن واسمع
ما أقول بانتباه .. وستجدُ خيرًا إن شاء الله .
هزَّ حمدانُ رأسَه في تسليم .. فصاح به
الحكيم :

— أعطني هذا اللون ..
فجرى حمدانُ بسرعة ، ورجعَ بسرعة . وجاءَ
باللون المطلوبِ في الحال .. دونَ أيِّ إهمالٍ أو
إمهال .. واستمرَّ بعدَ ذلكَ على هذهِ الحال .. دونَ أنْ
يحتاجَ إلى توجيهِ أيِّ سؤال .
فقد حقَّقَ الحكيمُ مرادَّ المُحال .. بأقلِّ
الأقوال ..

وأخيرًا قال الحكيم :

— خذْ هذا السَّائلَ وَضعْهُ على الحُروقِ
والألوان .. نزولُ بإذنِ الله الرَّحمن .. ولكنِّي أريدُكَ أنْ

تفهم يا حمدان .. أن الإنسان لم يُخلق معصوماً من
الخطأ .. فالكمال لله وحده . لذلك أترك لك من الآن
فصاعداً فرصة الخطأ خمس مرات .. فإنك
إنسان .. وبعدها أحاسبك أشد مما كان .. فهذا خير
لك يا حمدان .

ومنذ ذلك الزمان .. وقعت بعض الأخطاء من
حمدان .. ولكنه لم يتعد الحد الذي حدده له الحكيم
مراد .. ولم ينس في مرة من المرات .. النصائح
والتعليمات .. وظل يعمل في معمل الأصباغ
والكيماويات .. بل وأصبح من أنشط العاملين .. ومن
أنبه المخترعين .. ومن العلماء المتفوقين .